كعقيدة دينية — إلا أنه يعترف بأن هناك شواهد تؤكد بقاء الحياة بعد الموت بعيداً عن كونه عقيدة دينية »(١) .

ومن تصريحاته فى ذلك : « (. . يتضح ... أن عقيدة بقاء الحياة بعد الموت — التى يؤمن بها الكثيرون منا كعقيدة دينية — ليس من الممكن أن تكون واقعاً فحسب . وإنما لعلها هى الوحيدة من عقائد الدين الكثيرة التى يمكن إثباتها بالدليل التجريبى) »(٢) .

وهو يعزو نفس هـــذا المعنى إلى كثير غيره من العلماء ، لما قال : « (لقد قام رهط من أذكى علمائنا وأكثرهم خبرة بمطالعة الشهادات المتعلقة بالمسألة (أى بقاء الروح وإمكان الحياة بعد الموت) ، وفحصوها بنظرة ثاقبة ، وقد توصلوا آخر الأمر إلى أن هناك شواهد كثيرة ، تجعل فكرة بقاء الروح نظرية معقولة ، وممكنة الحدوث ، وهم يرون أنه لا يمكن تفسير تلك الشواهد إلا على هذا النحو) »(٣) .

وها هو ذا أحد العلماء التجريبيين الأمريكيين المعاصرين ، المشتغل فى مجـــال العقول الاليكترونية ، وهو (كلود . م . هاثاواى) ينطق باللاماديات ، فيقول : « وإنى أسلم بوجود اللاماديات ، لأنى بوصفى من علماء الفيزياء أشعر بالحاجة إلى وجود سبب أول غير مادى .

إن فلسفتى تسمح بوجود غير المادى . لأنه بحكم تعريفه لا يمكن إدراكه بالحواس الطبيعية ، فن الحماقة إذن أن أنكر وجوده . . . ، وفوق

(١) المصدر السابق ، ص ٤٦ ، ٤٧

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٧ ، ٤٨

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٧

ذلك فإن الفيزياء الحديثة قد علمتنى أن الطبيعة أعجز من أن تنظم نفسها ، أو تسيطر على نفسها »(١) .

إن الرجل هنا صريح فى الإعتراف بغير المادي ، وصريح كذلك فى أن الوجود لا يمكن أن يكون فى أساسة ماديا ، بل لابد له من سبب غير مادي .

ومؤدى كل ذلك ، أن اللاماديات مثل الروح والنفس تجد فى فلسفته وفكره مكانا مكينا ، بل ترق به فلسفته إلى القول بأن « مصمم هذا الكون لا يمكن أن يكون ماديا ، وإنى أعتقد أن الله لطيف غير مادى »(٢) .

وعالم أمريكى آخر ، هو (بول إرنست أدولف) ، الطبيب والجراح ، يقول ، استنتاجا من خبراته فى مجال الطب والجراحة والعلاج : « لقد أيقنت أن العلاج الحقيق لابد أن يشمل الروح والجسم معاً ، وفى وقت واحد »(٣) . أى البناء المادي والروحى للإنسان . وذلك منه إقرار بأن الإنسان ليس هو الجسم فقط ، بل هو الجسم مع الروح .

تلكم هى الحقائق العلمية الناصعة ، التى ابتنيت على أنهاج العلم ومقرراته ، تشهد بأن الوجود ليس هو المادة فقط ، وليس فى أساسه مادة فقط ، بل اللامادى قسيم المادى ، وصنوه المتفوق كل التفوق .

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ، ص ٩٠

(٢) » » » » » ، ص ٩٠

(٣) » » » » » ، ص ١٣٦

فالواحدية المادية التي يعتصم بهـا الفكر المادي قد انتقضت من أساسها ، وباتت الثنائية تقتحم عليه معاقله ، من نوافذ العلم المنصف ، ومن أبواب الفكر المادي نفسه .

وحقيقة ، فإنه كثيراً ما كان ، يطيب للماديين المحدثين أن يتحدثوا باسم العلم ، ولكنهم في الحقيقة يسيئون استخدام العلم »(١) .

وهنا تكمن مأساة الفكر المادي ، والحديث منه بخاصة ، الذي يشدد دائماً في غيه وضلاله، ويزعم العلم ويدعى العلمية والعلم قد جافاه ، والعلمية قد هجرته .

إن إقرار الماديين وأرباب العلم بعالم فائق للمادة ، يتحتم معه أنشطار الوجود إلى مادة ، ولامادة ، ويؤدى إلى نقض فكرة الماديين عن الوجود ، في أنه مادي في أصله وتنوعاته .

ولنا فيما يأتي من نقاط النقد والمناقشة المزيد والمزيد، مما يذهب بالفكر المادي بدداً ويهز دعائمه من أساسها .

---

(١) تمهيد للفلسفة ، ص ٢٠٤

المادة خالقة لا مخلوقة :

ذاك زعم آخر من مزاعم الماديين الإلحاديين ، الهدف منه نسف فكرة الخلق الإلهي ، والإطاحة بأهم قضية عقدية ، لدى الدينيين بعامة .

ولكي نعطي تصوراً إجمالياً عن هذا الزعم ، نقول :

إن الماديين ، وإن سلموا بأن المادة ليست أزلية ، وتوافقوا مع العلم في ذلك ، إلا أنهم عاجزون عن أن يجدوا فيها رمزاً أو إشارة لمنظم ومدبر ... فإذا بهم يرون أن كل هذا جاء نتيجة (صدفة محضة) .

واستمع إلى قول (هكسلي) : (لو جلست ستة من القرود على آلات كاتبة ، وظلت تضرب على حروفها لملايين السنين ، فلا نستبعد أن نجد في بعض الأوراق الأخيرة التي كتبوها قصيدة من قصائد شكسبير .. فكذلك كان الكون الموجود الآن ، نتيجة لعمليات عمياء ، ظلت تدور في المادة لبلايين السنين) [1] .

فإذا كان الكون حاصلا بفعل الصدفة ، فالخلق الإلهي مرفوض ، وتبدو المادة في هذه الحالة غير مخلوقة ، ثم هي أيضا خالقة ، لأنه إن رفضت فكرة الخلق الإلهي المقصود ، لم تبق إلا فكرة خالقية المادة .

فكأن هذا الزعم ، يبني في أحد أركانه على الصدفة العمياء ، ومن ثم ستكون مناقشتنا متجهة إلى نقد مبدأ الصدفة .

وبغض النظر عن المثال الآنف ، الذي ساقه هذا المادي (هكسلي) ، والذي ينطوي على سذاجة شديدة ، وضحالة عقلية لا تليق بعقلية فيلسوف

---

(١) الإسلام يتحدى ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

فإنا واجدون . فى منطق العقل والعلم السند القوى لرفض مبدأ الصدفة بعامة ، ورفضه كسبب يفسر به الوجود والحياة والأحياء بخاصة .

فمن الوجهة النظرية : يتراءى مبدأ الصدفة ، قاصراً عن تفسير نشأة العالم ، وتكون الوجود ، ذلك أن الصدفة لا تجرى على نظام ، ولا تدعو إلى نظام ، مع أن كل ما فى الوجود منظم ، لا عشوائية فيه .

الصدفة هى فعل بدون قصد ولا غاية . وكل ما فى الوجود مقصود وموضوع لغاية محددة ، وهدف محدد .

الصدفة لا تتكرر ، فلو فرضنا المستحيل ، وسلمنا جدلا أنها قد تؤدى إلى النظام مرة ، فليس يعقل أن تكون هى سبب تحقيق النظام فى جميع الكائنات ، وسبب استمراره واضطراده .

وبمعنى أوضح : فإننا نتساءل : لماذا تماسك النظام فى الكون ، بعد أن وجد مصادفة واتفاقا ، ولماذا لم يسرع الخلل إليه ، وظهرت فيه الفوضى . وهى مثل النظام ، ومناظرة له بالتساوى فى احتمال الوقوع ؟

هذا هو حديث العقل ينفى الصدفة ويهدمها من أساسها ،[1] فالعقل لا يسيغ منطقيا مبدأ المصادفة فى أساسه ، فضلا عن أن يسيغه علة لنشأة نظام كونى ، مرتب غاية الترتيب ، دقيق غاية الدقة ، بشهادة كل أدوات المعرفة وطرائقها .

إن قانون المصادفة يشير إلى أنها تتناسب تناسبا عكسيا مع الإمكانات التى تطبق عليها فإن ، حظ المصادفـــة من الاعتبار يزداد وينقص بنسبة معكوسة ، مع عدد الإمكانيات المتزاحمة ، فكلما قل عدد الأشياء المتزاحمة

---

(١) العقيدة الإسلامية ... د/ سعد الدين صالح ، ص ١٦٩

ازداد حظ المصادفة من النجاح ، وكلما كثر عددها قل حظ المصادفة »(١)

فهل يمكن فى ضوء هذا القانون أن تتخذ المصادفة مبدأ تفسر به الحياة ، بشكل تنوعاتها وتزاحماتها ، وتكثرها وتراكمها ؟ هل يمكن للمصادفة أن تشتمل هذا العالم الرحب الممتد ، الغاص بالكائنات والأشياء والمنطوى على أكمل نظام ، وأوفى تناسق ؟

وعلى سبيل المثال : « لو أحضرنا ورقتين ، وكتبنا على الأولى الحرف (أ) ، وعلى الثانية الحرف (ب) ، وطلبنا من الطفل الأعمى أن يكون منهما كلمة (أ ب) ، فإن احتمال المصادفة ممكن جداً .

فإذا كتبنا على ورقة ثالثة الحرف (ت) ، وعلى رابعة الحرف (ث) وأعطينا الطفل الورقات الأربع ، وطلبنا نفس الطلب ، فإن المصادفة تقل قليلا .

أما لو كتبنا حروف الهجاء كلها ، كل حرف على ورقة ، وطلبنا نفس الطلب ، فإن المصادفة تقترب من الاستحالة .

أما لو صعدنا الموقف وطلبنا من الطفل أن يكون من الحروف التى معه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فإن المصادفة تكاد تكون مستحيلة ، لأن التزاحم أصبح بين ثمانية وعشرين حرفا والمطلوب جملة مفيدة .

فإذا ترقينا بالموقف أكثر وأعطينا رجلا عاقلا مبصرا صندوقا به مئات الآلاف من حروف الطباعة ، وطلبنا منه بعد إغلاقه أن يستمر فى تحريكه لأى مدة شاء ، وليأت لنا فى النهاية بقصيدة لامرىء القيس ، أو لعنترة ، فهل يمكن بالمصادفة أن يحدث ذلك ؟

---

(١) قصة الإيمان ، نديم الجسر ، ص ٢٩٣

إننا نقول لمن يجيب بنعم أن يبدأ بإجراء التجربة إلى نهاية عمره وليقل لنا ما هي النتيجة ؟

وإذا كانت المصادفة مع الأشياء المتزاحمة المحدودة مستحيلة ، فكيف يتصور عاقل حدوث هذا الكون بالمصادفة ؟(١) .

هذا من وجهة النظر العقلية ، أما من وجهة النظر العلمية ، فإن العلم قد أكد على أن المصادفة لا يمكن أن ينسب إليها دور في نشأة الكون وتكونه ، ولنستعرض معا بعض تصريحات العلماء التجريبيين ، في شأن المصادفة ، وقبل ذلك نقول: بإن العلم الآن يأخذ بمبدأ المصادفة ، أو نظرية الصدفة في تفسير الظواهر التي لا تتوافر عنها معلومات مؤكدة ، بحيث أصبح لها من الأسس الرياضية ما جعلها تطبق على نطاق واسع ، حيث تعذر الحكم الصحيح المطلق ، وتعطى نظرية المصادفة علميا حكما أقرب إلى الصواب ، مع افتراض تقدير الخطأ .

ومع ذلك ، فإن المصادفة لا تقوى علميا على تقدير تفسير لوجود الكون ، ونشأة الحياة ، ويعطينا عالم الطبيعة الأمريكي (فرانك ألن) ذلك ، فيقول : « إن البروتينات من المركبات الأساسية في جميع الخلايا الحية ، وهي تتكون من خمسة عناصر هي : الكربون ، والإيدروجين ، والنيتروجين ، والأوكسجين ، والكبريت .

ويبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتيني الواحد ٤٠٠٠٠ ذرة . ولما كان عدد العناصر الكيموية في الطبيعة ٩٢ عنصرا ، موزعة كلها توزيعا عشوائيا ، فإن احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة ، لكي تكون جزئيا من جزئيات البروتين ، يمكن حسابه لمعرفة كية المادة التي ينبغي أن تخلط

---

(١) نظرات في العقيدة الإسلامية ، د/ محمد الأنور حامد ص ٣١ ، ٣٢

خلطاً مستمراً ، لكي تؤلف هذا الجزىء ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزىء الواحد .

وقد قام العالم الرياضي السويسري (تشارلز برجين جاى) بحساب هذه العوامل جميعا فوجد أن الفرصة لا تتهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جزىء بروتيني واحد إلا بنسبة ١ إلى ١٠ ^١٦٠ ، أى بنسبة ١ إلى رقم عشرة مضروبا فى نفسه ١٦٠ مرة . وهو رقم لا يمكن النطق به ، أو التعبير عنه بكلمات .

وينبغي أن تكون كمية المادة التى تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزىء واحد أكثر مما لا يتسع له هذا الكون بملايين المرات .

ويتطلب تكوين هذا الجزىء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة — بلايين لا تحصى من السنوات . قدرها العالم السويسري بأنها عشرة مضروبة فى نفسها ٢٤٣ مرة من السنين (١٠ ^٢٤٣ سنة) .

إن البروتينات تتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية ، فكيف تتآلف ذرات هذه الجزيئات ؟

إنها إذا تآلفت بطريقة أخرى غير التى تتآلف بها ، تصير غير صالحة للحياة ، بل تصير فى بعض الأحيان سموما .

وقد حسب العالم الإنجليزى (ج . ب . ليثز) ... الطرق التى يمكن أن تتآلف بها الذرات فى أحد الجزيئات البسيطة من البروتينات ، فوجد أن عددها يبلغ البلايين (١٠ ^٤٨ مرة ، وعلى ذلك فإنه من المحال عقلا أن تتآلف كل هذه المصادفات لكى تبنى جزيئا بروتينيا واحداً .

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ، ٩ ، ١٠ .

ولكن البروتينات ليست إلا مواد كيماوية عديمة الحياة ، ولا تدب فيها الحياة إلا عندما يحل فيها ذلك السر العجيب الذى لاندرك من كنهه شيئاً ، إنه العقل اللانهائى . وهو الله وحده ، الذى استطاع أن يدرك ببالغ حكمته أن مثل ذلك الجزىء البروتينى يصلح لأن يكون مستقراً للحياة . فبناه وصوره ، وأغدق عليه سر الحياة »(١)

تلك نظرة العلم إلى المصادفة ، وهى تعطى للوهلة الأولى استحالة أن يكون لتلك المصادفة أى أثر فى نشأة الحياة والأحياء .

والواقع أن إقحام المصادفة فى تعليل نشأة الوجود ، يقتضى عدة افتراضات ، منها :

١ — افتراض أن المادة وجدت بذاتها فى الكون ، دون ما مؤثر خارج عنها .

٢ — افتراض أن اجتماعها وتفاعلها ، كان كذلك من ذاتها ، وبصفة تلقائية .

وتلك لعمرى افتراضات ، تقف دون التسليم بها عقبات عقلية وعلمية لايستطاع إزاحتها ، إلا بافتراض آخر ، وهو أن يتخلى العلم عن مقرراته والعقل عن مبادئه .

وطالما أن المقام مقام افتراضات ، فلا بأس من الاسترسال معها . فلو افترضنا أن المادة وجدت بنفسها فى الكون ، وافترضنا أن تجمعها وتفاعلها كان من تلقاء نفسها (ولست أجد أساساً لأقيم عليه هذه الافتراضات) ، ففى تلك الحال أيضاً لن نظفر بتفسير الكون .

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ، ص ٩ ، ١٠

فإن صدفة أخرى تحول دون طريقنا . فلسوء حظنا أن الرياضيات التى تعطينا نكتة الصدفة الثمينة ، هى نفسها التى تنفى أى إمكان رياضى فى وجود الكون الحالى ، بفعل قانون الصدفة .

لقد استطاع العلم الكشف عن عمر الكون وضخامة حجمه ، والعمر والحجم اللذان كشف عنهما العلم الحديث غير كافيين - فى أى حال من الأحوال - لتسويغ إيجاد هذا الكون عن قانون الصدفة الرياضى ،(١) مهما بلغ من الدقة والإحكام .

وقد رأينا أن الحسابات الرياضية لتكوين جزىء بروتين واحد تفوق الخيال ، والجزىء البروتينى يمثل جزءاً صغيراً من الخلية الحيوانية ، بل هو « ذرة لا يمكن مشاهدتها بأقوى منظار ، بينما نعيش وفى جسد كل فرد منا مايربو على أكثر من مئات البلايين من هذه الخلايا ،(٢) ، فهل هو الإعجاز الإلهى ، أو الصدفة العمياء؟ .

ومن التأكيدات التى أهداها إلينا العلم على انتفاء أية مصادفة فى نشأة الكون ، قول (دى نواى) : (لابد ألا ننسى أن الأرض لم توجد إلا منذ بليونين من السنين ، وأن الحياة — فى أى صورة من الصور — لم توجد إلا قبل بليون سنة ، عندما بردت الأرض)

هذا : وقد حاول العلماء معرفة عمر الكون نفسه وأثبتت الدراسة فى هذا الموضوع أن كوننا موجود منذ ـ ... ، ... ، ... ، ... ، ... ، سنة وهى مدة قصيرة جداً ، ولا تكفى — على أى حال من الأحوال — لخلق

---

(١) الإسلام يتحدى ، ص ١٠٠
(٢) » » ، » ١٠٣

لخلق إمكان ، يوجد فيه الجزىء البروتينى ، بناء على قانون الصدفة الرياضى »(1) .

فكيفاك بالكون الهائل ، المشحون بالكائنات والأحياء » فى شكل مليون من أنواع الحيوانات ، وأكثر من ٢٠٠,٠٠٠ ألف نوع من النبات ؟

وكيف انتشرت هذه الكمية الهائلة على سطح الأرض ، فى كل مكان ؟

ثم كيف جاء من خلال هذه الأنواع الحيوانية ذلك المخلوق الأعلى الذى نسميه الإنسان ؟ »(2) .

فالواقع أن قانون الصدفة يثــير من التساؤلات أكثر مما يعطى من إجابات ، بل إن صح ما قاله عالم مجرب فى شأن هذا القانون ، هو ما قاله « عالم الفضاء الأمريكى (مارلين . ب . كويدر) : (إن الإمكان الرياضى فى توفر العلل اللازمة للخلق — عن طريق الصدفة — فى نسبها الصحيحة هو ما يقرب من لا شىء) »(3) .

إن العلماء ، وقد لمسوا العناية والدقة والنظام فى الكون ، لا يجدون فسحة من عقولهم أو أبحاثهم لإسناد أى عمل للصدفة فى الكون ، فضلا عن نشأته ، « فهل يتصور عاقل أو يفكر أو يعتقد أن المادة المجردة من العقل والحكمة قد أوجدت نفسها بنفسها بمحض المصادفة ؟ أو أنها هى التى أوجدت هذا النظام وتلك القوانين ، ثم فرضته على نفسها ؟

---

(1) الإسلام يتحدى ، ص ١٠٤ ، ١٠٥

(2) المصدر السابق ، ص ١٠٦

(3) المصدر السابق ص ١٠٧

لا شك أن الجواب سوف يكون سلبيا ، بل إن المادة عندما تتحول إلى طاقة ، أو تتحول الطاقة إلى مادة ، فإن كل ذلك يتم طبقا لقوانين معينة ، والمادة الناتجة تخضع لنفس القوانين التى تخضع لها المادة المعروفة التى وجدت قبلها »(١) .

فلا محل لعشوائية أو تلقائية ، وإنما قصد وعناية ونظام ، تبين عن ممتن ومنظم ، إن « التفاعلات الدقيقة ، والحركة المنتظمة ، والخضوع لقوانين ثابتة ... ليست إلا دليلا وشاهدا على أن الكون منظم غاية التنظيم ، مما أطلق عليه (هجلز) نظرية كمال الكون »(٢) .

والمعتقد العلمى الآن ، هو أن الكون أكمل ما يكون نظاما وترتيبا وتناسقا ، ومعتقد كهذا من شأنه إلغاء فكرة المصادفة ، وتنحيتها كعامل فاعل فى حركة الكون ونظامه .

إن « من ينكر وجود الله لا يستطيع أن يقيم الدليل المباشر للعالم المتطلع ، على أن مجرد تجمع بعض الذرات والجزئيات عن طريق المصادفة، يمكن أن يؤدى إلى ظهور الحياة وصيانتها بالصورة التى شاهدناها فى الخلايا الحية .

وللشخص مطلق الحرية فى أن يقبل هذا التفسير لنشأة الحياة ، فهذا شأنه وحده ولكنه إذ يفعل ذلك ، فإنما يسلم بأمر أشد إعجازا

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ، ص ٢٤ ، والكلام لعالم الكيمياء والرياضة الأمريكى د / جون كليفلاند كوثران .

(٢) نفس المصدر ص ٦٦ ، والكلام لأخصائى علوم الغابات والنباتات والفسيولوجيا الأمريكى ، لورنس كولتون ووكر .

وصعوبة على العقل من الاعتقاد بوجود الله ، الذى خلق هذه الأشياء ودبرها »(١) .

فالزاعمون الصدفة يحملون العقل فوق طاقته ، ويضعونه أمام تصور عسير ، لا يكاد يدانيه وضعه أمام تصور الخلق الإلهى للكون .

« إن التصميم أو النظام أو الترتيب ، أو سمها ما شئت . لا يمكن أن تنشأ إلا بطريقتين : طريق المصادفة ، أو طريق الإبداع والتصميم .

وكلما كان النظام أكثر تعقيداً ، بعد احتمال نشأته عن طريق المصادفة ونحن فى خضم هذا اللانهائى ، لا نستطيع إلا أن نسلم بوجود الله »(٢) .

وفى الحق : فإن روعة التصريحات العلميـــة فى معرض الحديث عن المصادفة ، تغرى بالاستزادة منها . كما تغرى بقدر أشد أن نترك التعليق عليها ، حيث هى لا تفتقر إلى أى تعليق .

ومن باب الاستزادة ، نورد قول البروفسيور (إيدوين كونكلين) :
« (إن القول بأن الحياة وجدت نتيجة حادث اتفاق شبيه فى مغزاه بأن نتوقع إعداد معجم ضخم ، نتيجة انفجار صدفى يقع فى مطبعة) »(٣) .

ونورد قول عالم الطبيعة الأمريكى (جورج إيرل ديفيس) .
« (لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه ، فإن معنى ذلك أنه يتمتع

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ، ص ٧٧ والكلام لأخصائى علم الأحياء والنباتات الأمريكى (رسل تشارلز آرنست) .
(٢) المصدر نفسه ص ٩٠ والكلام ، لأخصائى الآلات الكهربية ، (كارد م . هاثاواى) . الأمريكى .
(٣) الإسلام يتحدى ص ٩٩

بأوصاف الخالق ، وفى هذه الحال سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو الإله .

وهكذا ننتهى إلى التسليم بوجود الإله ، ولكن إلهنا هذا سوف يكون عجيبا : إلها غيبيا وماديا فى آن واحد .

إنى أفضل أن أؤمن بذلك الإله الذى خلق العالم المادى ، وليس بجزء من هذا الكون ، بل هو حاكمه ومديره ، بدلا من أن أتبنى مثل هذه الخزعبلات) »(١) .

ونورد قول عالم الكيمياء الأمريكى (واين أولت) :

« نستطيع فى ضوء خبرتنا العلمية أن نتقدم بالسؤال التالى : هل تم اختراع جهاز الرادار نتيجة المصادفة ؟ أم عن طريق التصميم والاختراع ؟

ثم هل تم تكوين جهاز الرادار الموجود بجسم الوطواط . والذى لا يحتاج من الحيوان إلى إنتباه ، ولا يتطلب منه إصلاحا ، والذى يستطيع أن يورثه لذريته عبر الأجيال .

نقول : هل تم كل ذلك عن طريق المصادفة ؟ أم عن طريق التصميم والإبداع ؟

إن الخبرة العلمية للإنسان تقوم على التصميم وعلى إدراك الأسباب ، وعلى ذلك ، فإن المشتغل بالعلوم هو أول ما يجب عليه التسليم منطقيا بوجود عقل مبدع ، لا حدود لعلمه أو قدرته ، موجود فى كل مكان ،

---

(١) الإسلام يتحدى ص ١٠٨ ، ١٠٩

يحيط مخلوقاته برعايته ، سواء فى ذلك الكون المتسع ، أو كل ذرة أو جزئية من جزئيات هذا الكون اللانهائية ، فى تفاصيلها الدقيقة »(١) .

إن المصادفة التى اعتصم بها الماديون فى تعليل نشأة الكون والحياة ، قصداً إلى رفض فكرة الخالق الإلهى المقصود ، وإقرار مبدأ خالقية المادة لنفسها ، ولسائر ماينضوى عليه الوجود من كائنات وأشياء ، هذه المصادفة لا تجد مساغاً من عقل سليم ، أو علم صحيح ، ومن ثم فليس يستقيم لا عقلا ولا واقعا ، ما يقوله الماديون على لسان أحدهم ، برابرتراند راسل : « (ليس وراء نشأة الإنسان غاية أو تدبير ، إن نشأته وحياته ، وآماله ومخاوفه ، وعواطفه وعقائده ، ليست إلا نتيجة لاجتماع ذرات جسمه عن طريق المصادفة ، (٢) العمياء والاتفاق المحض .

ولربما يكون أبلغ رد على مثل هذا الكلام ، ما قاله وحيد الدين خان فى معرض مناقشته مبـــدأ الصدفة ، فبعد أن وصم القول به بالسخف والصلافة ، يقول : « ومثاله كمن يزعم أن سقط كوب مملوء بالماء أو بالقهوة ، سوف يرسم خريطة العالم على الأرض(٣) .

إن الصدفة هذه بحاجة إلى صدفة أخرى تسوغ أثرها فى الوجود نشأة وتنوعا وهذه بدورها بحاجة إلى صدفة تسوغها ، وهكذا إلى ما لا نهاية . وتقع فى التسلسل المحال ، على حد تعبير علماء الكلام .

إن افتراض الصدفة فى إيجاد الكون ، لا يفوق عقلا ولا علما افتراض وجود الكون من خالق ، بل إن افتراض الخلق الإلهى يتسق مع

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ص ١٣٢

(٢) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٥١

(٣) الإسلام يتحدى ص ١٠٧

العقل والعلم دون ما صعوبات أو معميات ، ومن ثم يكون فرضاً علمياً ونظرياً قابلا للتحقق بل هو قد تحقق بالفعل .

إن نظرية المصادفة ، ومعها نظرية العلية الميكانيكية ، اللتان وجدتا فى غمرة الكشوف العلمية فى الماضى ، قد حرمتا اليوم من ... اليقين .

إن الكشوف الجديدة بدلا من أن تدعم بنيانها تهزهما أكثر فأكثر ، والعلم نفسه يقوم بإبطال النظريتين رويداً رويداً »(١) .

وحيث بطلتا ، فالخلق الإلهى ، والتدبير الإلهى هما قانون الوجود دون منازع بجل الخالق ، وحيا الله العلم المنصف ، وليذهب الماديون بالخسران المبين .

(١) تمهيد للفلسفة ص ٢١٤